

النقد والنقد الثقافي عند عبد القادر فيدوح

Criticism and cultural criticism according to Abdelkader Fedouh

طالب الدكتوراه / سلاط رمضان

الدكتور / نويوة عبد القادر

مخبر المنتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والأدب

قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

sellat.ramdane@univ-khenchela.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/02 تاريخ القبول: 2025/11/24 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخص:

يُعدّ النقد الثقافي توجهاً نقدياً حديثاً يسعى إلى تجاوز حدود النقد الأدبي التقليدي، منتقلاً من دراسة النصوص في ذاتها إلى تحليل الخطابات الثقافية والأنساق الفكرية والإيديولوجية التي تشكلها. وقد شهدت الساحة النقدية العربية حضوراً لافتاً لهذا الاتجاه بفضل جهود نقاد بارزين، من بينهم عبد القادر فيدوح، الذي تميّز بمقارنته النقدية التي تجمع بين التأويل واستقراء البنى العميقة للنصوص الأدبية والثقافية. انطلق فيدوح من رؤية تنأى عن النقل الحرفي للنظريات الغربية، إذ سعى إلى توظيف النقد الثقافي ضمن سياق عربي يعكس خصوصياته الفكرية والتاريخية، مع التركيز على العلاقة بين التراث والحداثة في تحليل الخطاب الأدبي. من خلال اعتماده المنهج التأويلي، حاول الكشف عن المضمّر في النصوص، متجاوزاً الفهم السطحي إلى قراءة معمقة تستنطق أبعادها الثقافية والدلالية. وقد انعكس هذا المنحى في دراساته حول الشعر العربي والنقد الأدبي، حيث ربط بين التأويل والمعرفة النقدية الحديثة، مستفيداً من النظريات الفلسفية واللسانية لتقديم مقارنة نقدية تستكشف جوهر الإبداع الأدبي والثقافي.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر فيدوح: التأويل: النقد الثقافي، البنى العميقة: الفكر النقدي؛ مقارنة نقدية

Abstract:

Cultural criticism is a modern critical approach that seeks to go beyond the boundaries of traditional literary criticism, shifting from the study of texts in themselves to the analysis of cultural discourses and the intellectual and ideological structures that shape them. The Arab critical scene has witnessed a significant presence of this approach, thanks to the efforts of prominent critics, including Abdelkader Fedouh, who is distinguished by his critical approach that combines interpretation and the exploration of the deep structures of literary and cultural texts. Fedouh 's vision moves away from the mere adoption of Western theories, as he strives to employ cultural criticism within an Arab context that reflects its intellectual and historical specificities, emphasizing the relationship between heritage and modernity in the analysis of literary discourse. Through his interpretative methodology, he seeks to uncover the implicit meanings in texts, going beyond superficial understanding to a deeper reading that interrogates their cultural and semantic dimensions. This approach is evident in his studies on Arabic poetry and literary criticism, where he connects interpretation with modern critical knowledge, drawing from philosophical and linguistic theories to present a critical perspective that explores the essence of literary and cultural creativity.

Keywords: Abdelkader Fedouh, interpretation, cultural criticism, deep structures, critical thought, critical approach.

مقدمة

إن التغير في المجالات الفكرية والثقافية أمر حتي تفرضه تحولات الأنساق الاجتماعية والسياسية والمعرفية، ولا يُستثنى النقد الأدبي من هذه القاعدة، إذ شهد على مر العصور تحولات جوهرية في آلياته ومناهجه، خاصة في السياق العربي الذي تأثر بالمناهج النقدية الغربية، فتمثلها تارة، وحاورها تارة أخرى، ليصوغ رؤيته الخاصة التي تراعي خصوصياته الثقافية والتاريخية.

وفي هذا السياق، برز النقد الثقافي باعتباره اتجاهاً نقدياً حديثاً يسعى إلى تجاوز النقد الأدبي التقليدي الذي يركز على النصوص في حد ذاتها، نحو رؤية أوسع تشمل دراسة الخطابات الثقافية الكامنة خلفها، بما في ذلك الأنساق الفكرية والإيديولوجية التي تشكلها وتؤثر فيها. وقد

كان للنقد الثقافي حضور واضح في الساحة النقدية العربية، بفضل جهود رواد هذا المجال، مثل عبد الله الغدامي الذي أسهم في بلورة مفاهيمه وتطبيقاته.

ومن بين النقاد الذين اشتغلوا على النقد الثقافي برؤية متميزة، الناقد الجزائري عبد القادر فيدوح، الذي سعى إلى مقارنة هذا الاتجاه النقدي في ضوء الخصوصية الثقافية، محاولاً استكشاف حدوده وأبعاده وتأثيره في الحقل النقدي. ولأن النقد الثقافي يتداخل مع مختلف الخطابات الأدبية والفكرية، فقد كان لزاماً على الناقد الجزائري على وجه الخصوص، أن يتفاعل معه بوعي نقدي، بعيداً عن النقل الحرفي أو المحاكاة الشكلية، سعياً نحو إنتاج معرفة نقدية أصيلة قادرة على استيعاب التحولات المعاصرة.

وفي هذا الإطار، تطرح إشكالية أساسية: تتمحور أساساً في السؤال التالي كيف تعامل عبد القادر فيدوح مع النقد الثقافي؟ وهل كان استقباله له مجرد تبني للمقولات الغربية، أم أنه أبدع في استنطاقه بما يتلاءم مع السياق العربي؟ هذا ما سنحاول استجلاءه في هذه الدراسة، معتمدين على المنهجين الاستقرائي والوصفي التحليلي، أملين أن تسهم هذه المقاربة في إضاءة جانب مهم في سياق النقد والنقد الثقافي عند هذا الناقد الجزائري.

المبحث الأول: النقد والنقد الثقافي؛ قراءة في المفهوم وإشكالية المصطلح

أولاً: ماهية النقد الثقافي ومفهومه

يتكوّن مصطلح "النقد الثقافي" من لفظتين: النقد والثقافة، ومن أجل الإحاطة بمفهومه العام، من الضروري أولاً الوقوف عند دلالة كل منهما على حدة، سواء في اللغة أو في الاصطلاح.

1- مفهوم النقد

- النقد في اللغة

تعددت تعريفات النقد في المعاجم العربية، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن النقد يعني "تمييز الدراهم، أي إخراج الزائف منها، ويقال: ناقد فلاناً إذا ناقشه في أمر ما". ومن هذا المنطلق، فإن النقد لغوياً يشير إلى عملية كشف العيوب والتمييز بين الجيد والردئ¹.

- النقد في الاصطلاح

إذا كان النقد في اللغة يعني التمييز والتقويم، فإنه في الاصطلاح الأدبي يتخذ بعداً أوسع، حيث يعرفه إحسان عباس بأنه "تعبير عن موقف كلي إزاء الفن بشكل عام والأدب بشكل خاص،

يبدأ بالتدقيق، أي القدرة على التمييز، ثم يتدرج إلى التفسير، والتعليل، والتحليل، والتقسيم، وفق نهج واضح يقوم على قواعد محددة تدعمها الملكة النقدية².

وبذلك، فإن النقد اصطلاحاً يشير إلى مجموعة من الآليات والقواعد التي يتم من خلالها دراسة النصوص الأدبية وفق مناهج نقدية محددة، تتوافق مع طبيعة النص المدروس، مما يجعل العملية النقدية جهداً تحليلياً ومنهجياً قائماً على الفهم العميق والتقييم الموضوعي.

2- مفهوم الثقافة:

بعد تحديد مفهوم النقد، يمكن الآن الانتقال إلى مفهوم الثقافة باعتبارها العنصر المكمل لمصطلح "النقد الثقافي"، لفهم الرؤية الشاملة لهذا المصطلح وتحليل أبعاده المختلفة.

حيث تتعدد تعريفات الثقافة باختلاف المرجعيات الفكرية والنظرية لكل باحث أو مفكر. وقبل التطرق إلى أبرز هذه الرؤى، من الضروري الوقوف على الدلالة اللغوية للمصطلح.

- المعنى اللغوي للثقافة

جاء في لسان العرب أن الفعل ثَقَّفَ يعني "صار حاذقاً"، وَثَّقَفَ الشيء أي "حذقه وقوّمه". أما الثقافة فهي أداة يُسَوَّى بها الرمح، وقد ورد في حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) في وصف أبي بكر الصديق: "وأقام أودها بثقافة"، أي أنه قام بتقويم اعوجاج المسلمين. وعليه، تحمل الثقافة في بعدها اللغوي معاني التهذيب والتنقيح والتقويم³.

ورغم تأخر دخول مصطلح الثقافة إلى الدراسات الأدبية والنقدية العربية، إلا أن جذوره اللغوية موجودة في الشعر العربي القديم، حيث استخدمت كلمة ثَقَّفَ ومشتقاتها للدلالة على التقويم والإصلاح. ومن ذلك قول عدي بن الرفاع العاملي (ت 95 هـ):

وقصيدة قد بُتُّ أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها.⁴

وكذلك قول النابغة الذبياني (ت 127 هـ)

قَوِّمْتُ منها فلا زِيغُ ولا أودُ كما أقام قنا الخطى تثقيفُ.⁵

أما الجاحظ (ت 225 هـ) فقد أشار إلى حرص الشعراء على تهذيب قصائدهم وتنقيحها، حيث قال: "وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معازم التدبير ومهمات الأمور يَبْنُوهُ في صدورهم، ويقيده على أنفسهم، فإذا قَوِّمَهُ الثَّقَافُ وأدخل الكِبَرُ، أبرزوه مفكِّكاً فتبقى، ومصفى من الأدناس مهذباً".⁶

- المفهوم الاصطلاحي للثقافة

تباينت تعريفات الثقافة بين المفكرين العرب والغربيين، ومن أبرز هذه التعريفات:

- مالك بن نبي: يعرف الثقافة بأنها "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح بشكل لا شعوري الرابط الذي يحدد سلوكه وفق أسلوب الحياة السائد في بيئته". وهذا يعني أن الثقافة ليست مجرد معرفة مكتسبة، بل هي جزء من الهوية الفردية والاجتماعية.⁷
- إدوارد تايلور: يرى أن الثقافة هي "ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف والقدرات والعادات المكتسبة بوصف الإنسان عضواً في المجتمع". وبهذا المعنى، فإن الثقافة مفهوم شامل يضم كل ما ينتجه الإنسان داخل مجتمعه.⁸
- محمد عبد المطلب: يرى أن الثقافة هي "الإضافة البشرية للطبيعة، سواء كانت هذه الإضافة في إعادة تشكيلها أو تعديلها، وتشمل العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات". أي أنها عنده فعل إبداعي يربط الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها.⁹

3- مفهوم النقد الثقافي:

برز النقد الثقافي بوضوح على يد الناقد عبدالله الغدامي، الذي أثار ولا يزال يثير جدلاً واسعاً بين النقاد، بين مؤيد ومعارض لهذا الاتجاه النقدي. وقد عرّفه الغدامي بقوله:

"النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية، يعني بنقد الأنساق المضمرة التي تنطوي على الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته. وهو إذاً معني بكشف الإجمالي كما هو في نشأة النقد الأدبي، وأنماطه كشف المخبوء تحت أقنعة البلاغي الجمالي".¹⁰

ويرى الناقد صلاح قنصوة أن النقد الثقافي ليس مجرد فرع معرفي متخصص، بل هو ممارسة تحليلية تشمل كل ما تفرزه الثقافة من نصوص، سواء كانت مادية أو فكرية. ويشير إلى أن مفهوم النص في النقد الثقافي يتسع ليشمل

المبحث الثاني: خطاب الثقافة والتأويل في أعمال عبد القادر فيدوح

إن المتتبع لأعمال الناقد عبد القادر فيدوح أن اهتماماته انصبّت بشكل أساسي على المنهج التأويلي. وقد ظهر هذا التوجه جلياً منذ رسالته الخاصة بالتخرج برتبة ماجستير والتي جاءت تحت عنوان "القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد"، حيث اعتمد فيها مقارنة تأويلية لتحليل الظواهر الفنية المختلفة. تناول فيدوح، من منظور تأويلي، عدداً من العناصر الجمالية في شعر طرفة بن العبد، مثل الطلل، وصورة المرأة بوصفها رمزاً، والخمر، وغيرها من الرموز التي تجاوزت البعد الظاهري للنصوص نحو أبعاد تأويلية أعمق، فرضها السياق النقدي والمنهجية التأويلية التي تبناها.

وقد عبّر فيدوح عن رؤيته هذه بقوله: "وإذا كان التأويل الذي نقصده في هذا البحث يقتحم الخبيء واللامرئي في النصوص المعتمدة، فذلك لأننا نرفض أن نكون مرآة للصورة، أو المرآة العاكسة، وإنما نرغبنا في الاندماج مع النص هو ما يشغل بالنا، ويعزز افتراضاتنا؛ لأن هناك مسوغات تدفعنا إلى ذلك، وفراغات تأسرنا، وتشددنا إلى تضاعيف النص وفيوضه"¹¹.

وانطلاقاً من هذه الفرضية، يرى الناقد أن التأويل أصبح اليوم ضرورة ملحة في الفكر المعاصر، مما يستدعي أن يكون المفسر أو المؤول ملماً بمجالات معرفية متعددة في العلوم الإنسانية، مثل اللغويات، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة. كما أن الارتباط الوثيق بين التأويل ونظريات ما بعد البنيوية، والسميائيات، ونظريات القراءة والتلقي، يجعل منه أداة تحليلية حاسمة في النقد الحديث. ويؤكد بول ريكور على هذا الارتباط في كتابه "التأويل والتأويل المضاعف"، الذي يعدّ شهادة على الدور الأساسي الذي تلعبه السميائيات في دعم عملية التأويل¹².

ورغم أن مفهوم التأويل كان معروفاً لدى العرب القدامى في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث القدسية والأشعار، حيث اختلفت آراء اللغويين في تفسيرها، فإن المنهج النقدي الحديث القائم على نظرية التأويل انتقل إلى النقد العربي المعاصر من خلال التأثير بالنقد الغربي

لم يكن اختيار عبد القادر فيدوح لهذا المنهج النقدي أمراً عشوائياً، بل كان نتيجة طبيعية لمسيرته البحثية الطويلة واهتمامه المبكر بتحليل النصوص وتأويلها. فمنذ سبعينيات القرن الماضي، بدأ فيدوح بنشر مقالات نقدية في الصحف الوطنية، عاكساً توجهًا واضحاً نحو قراءة النصوص بطريقة تتجاوز الفهم السطحي، وتسعى إلى تفكيك بنيتها العميقة. هذه المقالات لم تكن مجرد محاولات نقدية عابرة، بل كانت تأسيساً لأسلوبه في التأويل، الذي يعتمد على البحث عن الدلالات الخفية وتفسير المسكوت عنه في النصوص الأدبية.

وقد شكلت هذه المرحلة الأولى من كتاباته حجر الأساس لمنهجه النقدي اللاحق، حيث تطورت أدواته وأساليبه التحليلية بمرور الوقت، مستنداً إلى رؤية متكاملة فيها النظرية النقدية مع التطبيق العملي. لم يكن فيدوح مجرد ناقلٍ للمنهجيات النقدية الغربية، بل عمل على تكييفها مع السياق العربي، مما جعل قراءته للنصوص أكثر عمقاً وارتباطاً بالثقافة المحلية. وهكذا، فإن اختياره لهذا النهج النقدي جاء كنتيجة طبيعية لمسار فكري وبحثي متصل، يعكس انشغاله الدائم بأسئلة التأويل والتفسير، وحرصه على تقديم قراءات نقدية تتسم بالعمق والدقة¹³.

أولاً: تعمّقه في التأويل وتطور رؤيته النقدية للثقافة

واصل عبد القادر فيدوح تعمّقه في حقل التأويل، مستنداً إلى قناعته بأن التأويل هو السبيل لكشف البنية العميقة للنصوص واستنطاق مكانها الخفية. وفقاً لرؤيته، فإن التأويل ليس مجرد أداة تحليلية، بل هو فعل إبداعي يسهم في إعادة بعث النص وإبراز إمكانياته الكامنة. فالنص، بوصفه تأسيساً لما سيأتي، يتطلب من المؤلّ التزاماً متجدداً يربط الحاضر بالمستقبل، مما يجعله في حالة دائمة من التجدد والتفاعل مع دلالاته المتغيرة. ومن هذا المنطلق، يرى فيدوح أن عملية التأويل تتيح إمكانية تجاوز حدود اليقين إلى آفاق الاحتمالات الجدلية، بحيث يصبح المؤلّ مطالباً باستكشاف العمق الدلالي للنص وتجاوز قراءاته التقليدية. كما أن هذه العملية التأويلية، في سياقها الديناميكي، تشكل ما يشبه "الاشتراء المتبادل" بين محمول النص وتوقعات القارئ، حيث تسهم الرغبة في استبدال الرؤية الأولى برؤية جديدة، مما يؤدي إلى تحطيم جمود المعنى المكرر، وفتح آفاق استيطيقية جديدة تستكشف تعددية النص وتنوع شفراته¹⁴.

في هذا السياق، يمكن إدراك كيف استطاع الناقد أن يتعمق في بحوثه التأويلية بما تستدعيه النظريات المعرفية الحديثة، متتبّعاً جذور التأويل في الفكر العربي الإسلامي. وقد تجلّى ذلك بشكل واضح في كتابه "نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية"، الذي ربط فيه مفهوم التأويل بالنصوص الشرعية، مشيراً إلى أن الموروث المعرفي الإسلامي توزع بين اتجاهات متعددة، تشمل المذاهب الدينية، والفقهاء، وعلماء الكلام، والفلاسفة، الذين استفادوا من التأويل كأداة لاستكشاف معاني جديدة. يؤكد فيدوح أن هذه التعددية في الفهم التأويلي أدت إلى اتجاهات متنوعة، لكنها في بعض الأحيان أثارت انتقادات، خصوصاً عندما يقع بعض المفسرين في مغالطات نتيجة التأويلات الخاطئة للنصوص الدينية، إذ يحملون الآيات على معاني غير مقصودة دون الاستناد إلى قرينة دالة، مما يؤدي إلى إساءة الفهم والتأويل غير المنضبط.¹⁵

ثانياً: أثر التراث والحداثة في المنهج النقدي التأويلي لعبد القادر فيدوح

يؤكد الناقد عبد القادر فيدوح أن اهتمامه الأساسي ينصبّ على التراث، إذ يراه مجموعة من القيم المتبقية التي ينقلها الوعي الجمعي دون مسوّغ، مشيراً إلى أن الإنسان يبقى مرهوناً بهذه القيم، مهما حاول التغيير أو التنصل منها، لأنها موشومة في هويته. ومع ذلك، لم يكن التراث وحده كافياً بالنسبة له لخوض تجربة المنهج التأويلي، إذ استلزم الأمر الاطلاع على المفاهيم والنظريات الحديثة، خاصة ما جاء في فكر ابن رشد، الذي يعتبره أستاذه الأول، حيث تركت كتاباته أثراً عميقاً في تكوينه النقدي والفكري. يمكن للقارئ أن يلحظ هذا التأثير في تحليلاته النقدية، التي تتجلى فيها أفكار ابن رشد وكبار الفلاسفة العرب القدماء، وذلك نتيجة قراءاته الواسعة في إنتاجهم الفكري القيم

إضافةً إلى تأثره بالفكر الفلسفي العربي، وجد فيدوح أن أفكار ما بعد الحداثة وفّرت له مساحةً لتعميق مهاراته التحليلية في سياقها التأويلي، وهو ما زالت تنادي به ما بعد الحداثة باعتباره أحد العناصر الأساسية لتنمية الوعي وسلامة الإدراك في ظل المتغيرات العصرية. ويؤكد فيدوح أن العصرية ليست سوى تحديثاً مستمراً أو محاولةً دائمةً للتجديد، وهو سمة متأصلة في كل عصر، فمن ينكرها كالمنكر لسنن الطبيعة. لكنه يميز بين الحداثة الحقيقية التي تعزز التجربة الإنسانية عبر التواصل مع ما ينتجه العقل، وبين الحداثة العقلانية النقدية المؤدلجة، التي يراها مضللة، إذ إنها - بحسب رأيه - تزرع فوضى المعنى تحت مسميات متعددة لا يمكن ضبطها

يرى فيدوح أن التراث يحتوي على آثار الذاكرة، بينما تعمل الحداثة على ربط الشيء بأصله وتعزيز الوجود بمرجعياته. فالحداثة لا تنفصل عن الأصالة، بل تدعو إلى استدعائها في حياتنا اليومية، وتحفز تداعها داخلنا. ومن هنا، يبرز التداخل بين التأويل والتراث والتحديث، حيث يصبح التأويل وسيلة لقراءة التراث في ضوء الحداثة، دون أن يكون ذلك على حساب الأصالة أو الانجرار خلف الحداثة المشوشة.

ثالثاً: المنهج التأويلي عند فيدوح في ضوء الدراسات النقدية

تناولت الباحثة حفيظة بشارف منهج عبد القادر فيدوح النقدي والتأويلي، مشيرةً إلى أنه اعتمد في معظم دراساته على التأويل في مقاربة الظواهر الشعرية، خاصة في الشعر الجزائري المعاصر. وتوضح بشارف أن فيدوح اهتم بالبنية الدالة أو ما سماه "بنائية التوالد"، وهي العملية التي تبدأ في مخيلة المبدع، فيحولها بحسده إلى رؤيا متجددة منسجمة، تتجاوز حدود البنى الاجتماعية الظاهرة، لتعكس واقعاً أكثر عمقاً وأثراً. لا يهدف الأثر الأدبي إلى عكس الواقع فقط، بل إلى إضاءته وكشف دلالاته الكامنة

يشير عبد القادر فيدوح إلى "النص المضمر الخبيء" بوصفه جوهر العملية التأويلية، حيث يرى أن الناقد لا يجب أن يكون مجرد مرآة عاكسة للنص، بل يجب أن ينخرط في عملية استكشاف مستمرة للطبقات العميقة للمعنى. يقول فيدوح في كتابه إراءة التأويل:

"وإذا كان التأويل الذي نقصده في هذا البحث يقتحم الخبيء واللا مرئي في النصوص المعتمدة، فذلك لأننا نرفض أن نكون مرآة للصورة، أو المرآة العاكسة، وإنما رغبتنا في الاندماج مع النص هو ما يشغل بالنا، ويعزز افتراضاتنا؛ لأن هناك مسوغات تدفعنا إلى ذلك، وفراغات تأسرننا، وتشدنا إلى تضاعيف النص وفيوضه".¹⁶

يشير هذا المقطع إلى أن التأويل عند فيدوح لا يقتصر على إعادة إنتاج النص كما هو، بل يسعى إلى الكشف عن المعاني العميقة التي تتوارى خلف ظاهره، وهو ما يربط منهجه بنظريات التأويل الفلسفية الحديثة، خاصة تلك المستوحاة من هرمنيوطيقا غادامير وريكور.

يُشير التأويل في هذا السياق إلى عملية تتجاوز مجرد الفهم السطحي للنصوص، إذ لا يقتصر على استعادة المعاني الظاهرة أو إعادة إنتاج الصورة كما هي، بل يسعى إلى التوغل في أعماق النصوص لكشف ما هو خفي ومستتر فيها. فالتأويل هنا لا يقف عند حدود التفسير التقليدي، وإنما يتسلل إلى طبقات المعنى المتعددة، محاولاً كشف الدلالات التي قد لا تكون واضحة عند القراءة الأولى. وهذا التوجه ينبع من قناعة بأن النص ليس مجرد انعكاس بسيط لواقع محدد، وإنما هو فضاء دلالي مفتوح يتيح للقارئ فرصاً متعددة للاندماج معه وتفكيك بنيته الداخلية.

يؤكد الكاتب أن الرغبة في التأويل لا تنبع من مجرد حب الاستطلاع، بل من دافع أعمق يتمثل في التفاعل الحي مع النصوص، بحيث لا يكون القارئ مجرد متلقٍ سلبي، بل شريكاً في إعادة إنتاج المعنى. فالقارئ هنا لا يقف عند حدود ما يمنحه النص بشكل مباشر، بل يسعى إلى الدخول في نسيجه الداخلي لاستكشاف معانيه المتوارية. وهذا يعني أن القراءة ليست مجرد انعكاس ميكانيكي لما هو مكتوب، وإنما هي فعل تفاعلي يستدعي حضور القارئ بوصفه مفسراً للنص، وقادراً على اكتشاف ما وراء الكلمات من احتمالات وتأويلية.

كما أن الدافع وراء هذا التأويل لا يقوم على رغبة عبثية، بل هناك مبررات واضحة تستدعي الغوص في النصوص بهذه الطريقة. فالنصوص تحمل في طياتها فراغات ومساحات غير مكتملة، تحتاج إلى من يملؤها ويُعيد تشكيلها من خلال التأويل، وهذه الفراغات تشكّل مناطق جذب للقارئ، تحثه على البحث والتقصي للوصول إلى رؤى أعمق. فالتأويل، بهذا المعنى، ليس

مجرد خيار، بل ضرورة يفرضها النص ذاته حينما يترك مساحات غير محددة، تستدعي من القارئ إضفاء معناه الخاص عليها.

وأخيراً، فإن هذا التفاعل التأويلي لا يقتصر على استخراج المعاني المخفية فحسب، بل يمتد ليشمل كشف التداعيات والارتباطات التي تحيط بالنصوص وتمنحها قيمتها العميقة. فالنصوص ليست كيانات ثابتة، وإنما هي في حالة من التمدد المستمر، حيث تتولد معانٍ جديدة مع كل قراءة جديدة. ومن هنا، فإن التأويل هو أداة لاستكشاف هذه الحيوية في النصوص، مما يتيح إعادة قراءتها من زوايا متعددة، ويجعلها قادرة على إنتاج دلالات لا نهائية، وفقاً لسياقاتها ولما يحمله القارئ من خلفيات معرفية وتجارب ذاتية.

رابعا: بين التأويل والنقد الثقافي: نقده للعقاد

بالرغم من أن فيدوح استخدم بعض المناهج النقدية الأخرى، مثل المنهج النفسي، فإنه ظل ملتزماً بتأويل النصوص وفق رؤيته الخاصة. يظهر ذلك جلياً في نقده لتحليل العقاد لشخصية أبي نواس، حيث اعتبر أن العقاد أسقط نظريات التحليل النفسي على الشاعر بشكل اعتباطي دون أن يعتمد على معطيات النص نفسه.

يقول فيدوح في الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي:

"ومجمل القول أن محاولة العقاد التي بذلها في استقصاء أخبار أبي نواس باعتماده على نظريات التحليل النفسي لم تكن صائبة في مجملها.. نظراً إلى أن آرائه جاءت بتأويلات تلقائية... من غير حجج مقنعة، والتي لا تستند في حكمها على استنطاق النتاج الفني الذي يحتوي على وظائف نفسية قد تعيننا على استكشاف لا وعي الشاعر الذي يعكس سجله التاريخي¹⁷

هنا، يعترض فيدوح على العقاد لأنه لم ينطلق من النصوص ذاتها، بل أسقط عليها تفسيرات نفسية جاهزة، وهذا يعكس إصرار فيدوح على أن التأويل يجب أن ينبع من بنية النص الداخلية، وليس من معطيات خارجية تُفرض عليه.

يطرح عبد القادر فيدوح في هذا الاقتباس نقداً لمنهج العقاد في تحليل شخصية أبي نواس، حيث يرى أن العقاد اعتمد على نظريات التحليل النفسي دون أن يستند إلى أدلة فنية مقنعة من داخل النصوص الشعرية. يشير فيدوح إلى أن العقاد لجأ إلى "تأويلات تلقائية"، أي استنتاجات ذاتية غير مدعومة بتحليل دقيق للنصوص، مما أدى إلى عدم صوابية أحكامه. ويؤكد فيدوح على أهمية استنطاق النتاج الفني، أي دراسة الشعر ذاته، لفهم البنية النفسية للشاعر، بدلاً من الاعتماد على تأويلات خارجية قد لا تكون مستندة إلى معطيات موضوعية.

على الرغم من أن العقاد استخدم منهج التحليل النفسي في دراسة أبي نواس، إلا أن الحكم على دراسته بأنها "غير صائبة في مجملها" قد يكون تعميمًا واسعًا. فالعقاد، بوصفه ناقدًا وأديبًا، لم يكن يسعى فقط إلى تقديم تحليل نفسي صرف، بل كان يحاول تفسير شخصية أبي نواس من خلال السياق الثقافي والاجتماعي الذي نشأ فيه. ومع ذلك، قد يكون انتقاد فيدوح في محله إذا كانت استنتاجات العقاد تفتقر إلى التوثيق والاستناد إلى النصوص الشعرية بشكل كافٍ.

يرى فيدوح أن العقاد قدّم "تأويلات تلقائية"، وهي إشارة إلى أن استنتاجاته لم تكن قائمة على منهج تأويلي منظم أو على تحليل دقيق للنصوص. ومع ذلك، يجب الاعتراف بأن بعض القراءات الأدبية لا يمكن أن تكون موضوعية بالكامل، خاصة عند تحليل شخصية تاريخية مثل أبي نواس. فالتحليل النفسي بطبيعته يعتمد على تأويلات واستنتاجات قد لا تكون قابلة للقياس بنفس الطريقة التي تُقاس بها المناهج النقدية الأخرى.

كما يدعو فيدوح إلى الاعتماد على "استنطاق النتائج الفني" لفهم البنية النفسية للشاعر، وهو نهج له وجاهته النقدية، لكنه قد يكون محدودًا إذا تم تجاهل السياق التاريخي والثقافي للشاعر. فالشعر لا ينشأ في فراغ، بل يتأثر بالعوامل الاجتماعية والتاريخية، وبالتالي فإن فهم شخصية أبي نواس يتطلب الجمع بين التحليل النفسي ودراسة الظروف الثقافية التي أحاطت به.

خامسًا: فيدوح والتأويل السيميائي: قراءة غريب إسكندر

يعدّ الباحث غريب إسكندر من أبرز ممن ناقشوا المنهج التأويلي عند فيدوح، حيث أبرز كيف دمج هذا الأخير السيميائية بالتأويل. يشير إسكندر في كتابه الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي إلى أن فيدوح يعتبر أن التأويل يتجلى في اكتناه الذات المبدعة وربطها بالضمير الجمعي، مما يعكس رؤية تأويلية تتجاوز للحدود التقليدية.

يقول إسكندر: "إن خصوصية التأويل تكمن بحسب فيدوح في البحث عن الأنساق العامة التي تتجلى في اكتناه الذات المبدعة بوصفها الكيان المرجعي لاستحضار تصور نتاج الضمير الجمعي في تعامله مع النص".¹⁸

من خلال هذا يمكن تحليل رؤية غريب إسكندر للتوجه النقدي لفيدوح كما يلي:

1- دمج السيميائية بالتأويل

يوضح غريب إسكندر أن عبد القادر فيدوح لم يتبنَّ التأويل بمعزل عن المناهج النقدية الأخرى، بل عمل على دمجها مع السيميائية، مما أتاح له القدرة على استكشاف الأنساق العميقة داخل النصوص الأدبية. هذا الدمج لا يقتصر على تحليل العلامات اللغوية فقط، بل يتجاوز ذلك إلى فهم البنية الثقافية التي تشكل النص الأدبي، مما يجعل تأويله أكثر شمولية.

2- اكتناه الذات المبدعة

يركز إسكندر على أن التأويل عند فيدوح لا يقتصر على استخراج المعاني من داخل النص، بل يتعدى ذلك إلى اكتناه الذات المبدعة نفسها. هذا يعني أن التأويل لا ينفصل عن الأبعاد النفسية والثقافية للمبدع، حيث يرى فيدوح أن فهم النص لا يكتمل دون استحضار السياق الذاتي والوجداني الذي شكّل عملية الإبداع.

3- التأويل والضمير الجمعي

أحد الجوانب المهمة التي يبرزها إسكندر في تحليل منهج فيدوح هو ربط التأويل بالضمير الجمعي. يرى فيدوح أن النص الأدبي لا يعبر عن فردية الكاتب فقط، بل هو نتاج ثقافي يتفاعل مع المخزون الرمزي والمخيال الجمعي للمجتمع. وهذا يعني أن التأويل يجب أن يأخذ في الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي يتشكل فيها النص، مما يجعله أكثر عمقاً وشمولية.

سادساً: بين المنهج التأويلي والنقد الثقافي عند عبد القادر فيدوح

يُظهر تحليل أعمال عبد القادر فيدوح أنه لم يقتصر على تطبيق المنهج التأويلي في النصوص الشعرية، بل وسّع نطاق دراسته ليشمل النص السردي، كما يتضح في كتابه تأويل المتخيل: السرد والأنساق الثقافية. يعكس هذا التطور توجهه نحو دراسة الأنساق الثقافية داخل السرد الأدبي، مما يُشير إلى تحولٍ في منهجه النقدي من التأويل التقليدي إلى مقاربة أكثر شمولاً.

يشير فيدوح إلى أن التأويل لا يتعامل مع النص باعتباره كياناً ثابتاً، بل يُنتج نصاً ثانياً مستوحى من النص الأصلي، مما يعكس نهجاً متعدد الطبقات في فهم العمل الأدبي. يتوافق هذا المنظور مع آراء بول ريكور حول التأويل، حيث يُنظر إلى النص على أنه حقل دلالي مفتوح يمكن إعادة بنائه وفقاً لسياقات القراءة المختلفة.

مع تطور أعمال فيدوح، بدأ يدمج التأويل النقدي مع مفاهيم النقد الثقافي، والذي يهدف إلى تحليل النصوص في إطار الأنساق الاجتماعية والخطابات المهمشة. ووفقاً لما ذكره فيدوح، فإن كل نص أدبي يستوجب تأويلاً دقيقاً، وهو أمر لا يمكن تحقيقه دون الإلمام بالجوانب الثقافية للنص.

يمكن القول إن فيدوح، رغم التزامه بالمنهج التأويلي، يميل في كتاباته الأخيرة إلى إثرائه بمفاهيم النقد الثقافي، خاصةً عند تحليل الأنساق الخفية في السرد. يعكس هذا التوجّه مرونةً في توظيف المناهج النقدية، حيث لم يعد التأويل مقتصرًا على تحليل الرموز النصّية فحسب، بل أصبح أداةً لفهم الخطابات الثقافية الكامنة في النصوص الأدبية

خاتمة:

يظلّ تقدير الدراسات الحديثة لموروثنا الثقافي والمعرفي تقديرًا نسبيًا، في انتظار ما يجدّ من اكتشافات تكشف عمق اللاوعي فيه. واعتقادنا بأننا نعرف كل شيء عن ماضينا هو اعتقاد يقابله: 'لا نعرف إلا بعض الشيء منه' امتثالًا لمقولة النفري: 'كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة' حيث يتسامى في العبارة ظاهر الوجود وباطنه. ولعل الأخطر من ذلك هو ترفعنا عن معرفة ماضينا بفعل هبوب رياح الحداثة، تكرّسه دافعية مرض الوهم بالتقدم خطوة إلى الأمام، في حين يتم التراجع خطوات إلى الوراء. وفي المقابل أيضًا، فإن القول بصفاء التراث، وأنه على مثال كامل، هو قول يفعل دوافع الريبة والتشكيك، ويدخله في مذبحه المتربصين بهذا التراث المسطرّ بمقدار ما جسّده في بناء حضارة ثبت استحقاقها دهرًا لا يستهان به"

يعدّ عبد القادر فيدوح أحد النقاد الذين استفادوا من المنهج التأويلي وعلاقته بالنقد الثقافي، حيث تعامل مع تحليل النصوص من منظور ثقافي بما يتماشى مع الوعي الأدبي. كما أن الدراسات الثقافية تُعدّ من أهم الحقول المعرفية التي اهتمت بتأويل النصوص الثقافية والنقدية والأدبية، نظرًا لما تقدّمه من معارف واسعة. وقد أشار فيدوح إلى هذه الأهمية بقوله:

ويظهر من خلال تتبع دراسات فيدوح أنه يتبنى توجّهًا يجمع بين النقد التأويلي والنقد الثقافي، وهو ما يُعزى إلى قراءاته الواسعة التي تشمل التراث والحداثة، والشعر والسرد، بالإضافة إلى إلمامه بالنظريات الغربية حول النص الأدبي. وقد توسع في هذه الرؤية في كتابه تأويل المتخيل: السرد والأنساق الثقافية، حيث تناول العلاقة بين الأدب والثقافة من منظور تأويلي، مع تركيز خاص على الرواية نظرًا لكونها من أكثر الأجناس الأدبية تعبيرًا عن الواقع

أيضًا تؤكد هذه الدراسة على أهمية النقد الثقافي باعتباره توجّهًا نقديًا حديثًا يسعى إلى تجاوز حدود النقد الأدبي التقليدي، والانتقال من دراسة النصوص في ذاتها إلى تحليل الخطابات الثقافية والأنساق الفكرية التي تشكلها. وفي هذا الإطار، برز عبد القادر فيدوح كأحد النقاد العرب

الذين تبناوا هذا المنهج برؤية نقدية تتسم بالعمق والوعي بالسياقات الفكرية والثقافية، مما أتاح له إعادة قراءة النصوص الأدبية وفق آليات تحليلية تتجاوز المظاهر السطحية إلى استكشاف بنياتها العميقة.

لقد سعى فيدوح إلى توظيف النقد الثقافي ضمن سياق عربي يعكس خصوصياته الفكرية والتاريخية، مع التركيز على العلاقة بين التراث والحداثة في تحليل الخطاب الأدبي. وقد تجلّى هذا التوجه من خلال اعتماده المنهج التأويلي، الذي يهدف إلى الكشف عن المضمّر في النصوص واستنطاق أبعادها الثقافية والدلالية، مستفيداً من النظريات الفلسفية واللسانية الحديثة لتقديم رؤية نقدية تتسم بالشمولية والقدرة على التحليل العميق.

كما أظهرت الدراسة أن فيدوح لم يكتفِ بمجرد استيراد النظريات الغربية، بل سعى إلى إعادة صياغتها بما يتلاءم مع خصوصيات الثقافة العربية، مما جعل مقارنته النقدية أكثر أصالة وملاءمة للسياق العربي. ويُعزى ذلك إلى إدراكه العميق لأهمية التراث في تشكيل الوعي النقدي، حيث حرص على الموازنة بين الإفادة من منجزات النقد الحديث وعدم إغفال الأسس الفكرية والثقافية المتجذرة في الثقافة العربية.

من جهة أخرى، كشفت الدراسة عن الأثر العميق الذي تركه النقد التأويلي في منهج فيدوح، حيث جعله وسيلة لإعادة قراءة النصوص الأدبية والثقافية بطريقة تتيح استكشاف أبعادها الخفية. ومن خلال هذا المنهج، استطاع تقديم قراءات نقدية متجددة تتفاعل مع النصوص بمرونة، مما يعزز دور النقد في إضاءة الجوانب غير المرئية من الإبداع الأدبي.

وفي الختام، تبرز أهمية النقد الثقافي بوصفه أداة منهجية تساعد في فهم النصوص في سياقاتها الفكرية والاجتماعية، وهو ما سعى إليه عبد القادر فيدوح في مقارنته النقدية. وقد أظهرت دراساته أن النقد لا يقتصر على التحليل الجمالي، بل يمتد ليشمل دراسة الخطابات الثقافية التي تشكل الوعي الإبداعي. وبهذا، فإن جهوده النقدية تسهم في تطوير النقد العربي المعاصر، مما يفتح آفاقاً جديدة لمزيد من الدراسات التي تعيد النظر في العلاقة بين الأدب والثقافة والمجتمع.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة في ضوء ما سبق بضرورة توسيع نطاق الاهتمام الأكاديمي بالنقد الثقافي في الجامعات العربية، من خلال إدراجه ضمن المقررات النقدية والأدبية، نظراً لقدرة على تجاوز الحدود الجمالية الضيقة إلى تحليل الأنساق الثقافية والفكرية المضمرة في النصوص. كما

يُستحسن تشجيع الباحثين على تبني المنهج التأويلي في قراءاتهم النقدية، لما يتيح من إمكانات عميقة في استنطاق النص الأدبي وكشف طبقاته الدلالية المتعددة. ويُقترح كذلك توجيه الجهود البحثية نحو دراسة تطبيقات النقد الثقافي في الأدب العربي المعاصر، قصد إبراز مدى تفاعله مع التحولات الفكرية والاجتماعية التي يشهدها العالم العربي في ظل العولمة والتغير الثقافي.

كما توصي بالاستفادة من تجربة عبد القادر فيدوح في توطئ النقد الثقافي ضمن السياق العربي، وذلك من خلال اعتماد مقارنة نقدية تقوم على الموازنة بين المرجعية التراثية والنظرية الحديثة، بما يحقق توازناً بين الأصالة والمعاصرة. وينبغي على النقاد والباحثين تطوير دراسات مقارنة بين النقد الثقافي العربي ونظيره الغربي، لتحديد حدود التفاعل والاختلاف بينهما، وتعزيز إمكانات النقد العربي في إنتاج معرفة نقدية مستقلة. وتبقى الحاجة ملحة إلى إنشاء مراكز بحث متخصصة تُعنى بتحليل الخطابات الثقافية العربية، بما يساهم في إثراء الحقل النقدي ويدعم بناء مشروع نقدي عربي أصيل يعبر عن خصوصيات الهوية الفكرية والثقافية للمجتمع العربي.

قائمة المراجع:

1. أبو الفضل بهاء الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقد)، ج14، دار صادر، بيروت، دت
2. احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت، دت
3. ايكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية (س. بنكراد، مترجم). المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000
4. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج2، القاهرة
5. حفيظة بشارف، تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر من الاتجاهات السياقية إلى الاتجاهات النسقية: عبد القادر فيدوح أنموذجاً. مجلة سمات، البحرين، 2016
6. زيو دينسار دار، بورين خان لو: الدراسات الثقافية، ت: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003
7. عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991
8. عبد الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005

9. عبد القادر فيدوح، إرادة التأويل، دار الصفحات، دمشق، 2009
 10. عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الأوائل، بيروت، 2005
 11. عدي بن الرفاع، ديوانه، تح: د: نوري حمودي القيسي، ود: حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، 1987م
 12. غريب اسكندر، الاتجاه السينمائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002
 13. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000
 14. محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، ط1، الهيئة العامة لعضو الثقافة، 2003
 15. نابغة بني شيبان، ديوانه، القسم الأدبي بدار الكتب المصرية، القاهرة، 1932
- الهوامش:

- ¹ - ابو الفضل بهاء الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقد)، ج14، دار صادر، بيروت، دت، ص245.
- ² - احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت، دت، ص577.
- ³ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، مادة (ثقف)
- ⁴ - عدي بن الرفاع، ديوانه، تح: د: نوري حمودي القيسي، ود: حاتم صالح الضامن، المجمع العلمي العراقي، 1987م، ص:88.
- ⁵ - نابغة بني شيبان، ديوانه، القسم الأدبي بدار الكتب المصرية، القاهرة، 1932، ص:65.
- ⁶ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج2، القاهرة، ص14.
- ⁷ - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 2000، ص74.
- ⁸ - زيو دينسار دار، بورين خان لو: الدراسات الثقافية، ت: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص08.
- ⁹ - محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، ط1، الهيئة العامة لعضو الثقافة، 2003، ص90.
- ¹⁰ - عبد الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص20.
- ¹¹ - عبد القادر فيدوح، إرادة التأويل، دار الصفحات، دمشق، 2009، ص7.
- ¹² - ايكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية (س. بنكراد، مترجم). المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص9.
- ¹³ - حفيظة بشارف، تطور النقد الأدبي الحديث في الجزائر من الاتجاهات السياقية إلى الاتجاهات النسقية: عبد القادر فيدوح أنموذجاً. مجلة سمات، البحرين، 2016، ص45.

-
- ¹⁴ - عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل، ص 7.
- ¹⁵ - عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل، ص 13.
- ¹⁶ - عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الأوائل، بيروت، 2005، ص 7.
- ¹⁷ - عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991، ص 16.
- ¹⁸ - غريب اسكندر، الاتجاه السينمائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2002، ص 101.